الأهرام

المصدر: الاهـــرام

التاريخ: ٢٥ يونـيـو ١٩٨٨

ياحضـــرة الحكـــومة .. مع الشـــكر عتـــاب

الصوت والصدى

بقلم: يوسف جوهر

في مصر المحروسة لم يعد مزعجا ان يصل القطار متأخرا ... المجرى المسافر الى بحرى والقرنفلى المتوكل الى قبل . لايأس اذا برك احدهما فى الطريق او خرج عن القضبان . واحب ان يستريح على جنبه الايمن او جنبه الايسر ... والخسائر محدودة ومقصور عليها

منظام مبكر ليترافع فى جنحة فى بلد بعيد . اذا وصل الى المحكمة بعد رفع الجلسة كان امله فى عودته مع موكليه .. اذا كان عريسا ذهب الى حفل زفافه فلا يظن انه هرب . ومع اهل العروس تصفية الحساب . وقد يركب القطار سياسى منضل . ذاهب لاحياء حفل انتخابى والبسيمة فى السرادق ينتظرونه ويصابون بالاحباط . وسيعلق جهابذة الحزب انها مؤامرة من الحزب الاخر ... وان سائق القطار « مواس » ومتعمد ... وجريدة الحزب ان كان سيكون نشر الخطبة العصماء التى كانت ستترفع فى السرادق . فان « المانشيت » بعرض الصفحة الاولى . فى جريد الحزب . سيكون عن المؤامرة الدنيئة .

مقلب سكة الحديد محتملة حتى لو كانت هناك دماء تسيل او رقاب تنكسر ... ولكن هذا عن القطار الآخر ... قطار الدولة الذى يحملنى الى المستقبل ... القطار الذى يركبه المصريون جميعا وتسوقه الحكومة ؟! ... هذه هى المصيبة ... ان تخرج الحكومة بقطارها عن الخط . او تخل عن جدول المواعيد .

الحديث على هامش « هوجة » شاق التعليق . وعن ملحمة شركات توظيف الأموال .

الذى لاجدال فيه ان هناك مؤسسات محترمة فى الناحيتين ... ولاينبغى ان يغضبها الحديث عن المؤسسات غير المحترمة ... كان المساس بالقرآن الذى تعمل فيه هو مساس بالقرآن والانجيل .

تطفح سحاب على الورق ... مغامرون كل رأسمالهم الاعلانات المصورة ... الاعلان هو حجاب العصر وتعويذته ... احجبة شعوبرش وكل زمانها وجاء الدجالون الجدد ... الوهم المصور فتيات ساحرات بحدقاتك فى التليفزيون عن شقة الاحلام ... والمصففات على نواصى الطرقات تدفع اعصابك بصورة الفيلا . ومن حوانيا الانجار البسكلة نبتت . على الورق . وطولات السحاب فى غمضة عين ، والقطن يغمس ريشته فى اوانيه ويرسم لك امواج البحر وهى تنحسر تحت اقدام شقتك على الشاطىء .

ثم تفكر الحكومة لسنوات فى ان تقول لا اعلان الا بشرط ... ان تقرر ان الاعلان هو الثوب الذى يكتسى به راسمال قائم وحقيقى وموجود ... المبكى ممنوع ... ممنوع بيع الوهم .. ولكن الحكومة لم تتدخل فى تجارة الاحجبة ... وتركت سوق الدجل حرة ومفتوحة ... وهزت كتافيا وهى تقول ان الفقون لايجمع الفلفل ... باحضرة الحكومة هذه [illegible] ... ان اطباء ومهندسون وعمال اعتصروا فى عملهم قرائحهم واعتلالهم وصحتهم ... ولعل بساط الصبر بدأ ينسحب تحت اقدامهم وهم ينتظرون الشقة التى لن يدخلوها ابدا ... كان من حقهم . وقد خمنوا وبذلوا . ان يغمضوا جفونهم على احلام بعيدة لاريب فيها ... يناموا اسنين لانهم فى مراسيك ... ولكنك تمرمت ياحضرة الحكومة بعد اعوام من التذويب ... ووصل قطارك متأخرا ... تلكأ المذعى الاشتراكى طويلا قبل ان يعد حقائبه واوراقه ويضعها فى القطار ... واستطاع كل جنيه مغامر وجرىء ان يكون صغيرة يصيد بها عشرات الالوف ومئاتها ... استطاع صاحب اللامبة والطاقية الذى لايملك الا همته وبصمته ووشم الهيروغليفى على صدغه ، وعربة البطيخ التى يسرح بها فى السوق ان يصبح مقاولا . ويبنى العمارات . ويبيع الشقة عشر مرات ... والتقطت العصفورة على صدغه قطرات عرق الكادحين ... وبقرت سكين البطيخ بطون الغلابة ... ولفت ثقافته تقافة « المتنورين » ... رتب اموره . وطار . على بساط الريح . الى بلاد بره ليعلن التاخى بين مسقط راسه كفر الجرايدة ... وبين شيكاغو ... مغفور هو فقد وجدها « عبية » فى جيبه ان الثراة الفولاذية تغلغل . وان لايغفر لموسى مغفرت عليه الحريم .

* * *

قبل عام كتبت . فى هذا المكان طرفا من اخبار « زعيم » ظهر فى قريتنا فى الثلاثينات ... نبى من طراز جديد اعلن بغير مواربة ان رسالته اقتصادية ودنيوية ... ثم يتسيح بالدين ويفترض من اهله نحية او سنوتا ... ولم يحمل مسبحة ... ولم يخفض بصره وهو يفحص بطارته الفلكية الحسنوات والشمطوات وهو يعرض عليهن ان يرود عن [illegible] كل شهر ... ذاعت شهرة الشيخ حسن فى الناحية ... وجاءه المؤمنون من كل فج عميق ... وعندما انهالت عليه الودائع واشتد الزحام انطق من المسئولية وظهر عليه الضجر ... وقال لهم باعظم ابصوا عنى ... انا عاجز عن حمل المسئولية ... وصار يحتجب ويصم اذنيه عن الطرق الملح على بابه ... ولكن الناس الذين تذوقوا حلاوة الربح السهل صاروا يتربصون به فى بعض الطريق ... ويمسكون بتلابيبه وهو يسعى مستخفيا متوسلين ان يقبل منهم اموالهم ويقبلون صلعته وقد انزلقت عنها الطاقية . فى الزحام ... ويقبلون يديه . وذيل ثوبه المتلوع فى العرق والتراب .

وعندما اعتزم الحج الى بيت الله الحرام كان موكبه الى المحطة ولاموكب مولانا الملك المعظم ... وكان غبار الطريق الى عنان السماء . تحت حوافر مائة حمار وجحش من دواب المودعين .

ولكن تذكرة الشيخ حسن كانت تذكرة ذهاب بلا ايب ... ولم يعد الرجل الطيب حتى يومنا هذا ... ربما اكله الذئب ... وربما اكل هو الذئب وعاقب عملاءه على طمعهم ... فقد قالوا له . وطلعته البهية تهل عليهم من نافذة القطار الدلنا : « حج مبرور وذنب مغفور ياشيخ حسن ... وترجع لنا بالسلامة ... وتحصل البركة . ويصبح الجنيه بخمسة صاغ فى الشهر . لعله قال فى سره : « ستون الى المائة ياغلابة ... يا فائتة » .

واحسب ان الشيخ حسن الذى انجبته قريتنا . كان من الرواد الاوائل فى فن تلقى الاموال ... وان الانصاف كان يوجب على خلفائه ان ينسجوا نظريته اليه ... فقد خرجوا من صلبه وساروا على دربه ... اخترع النظرية وبرعوا فى التطبيق ... وكل اختراع تدخل عليه مع الستين تحسينات ذاهلة ... فهو لعب بالزيالات وهم لعبوا بالمليارات ... ونحن قوم نفكر للجمل لانعترف بالفضل لاهله ... ونعد كالقرع لبره ... نقيم تمثالا لسيمون دى بوليفار بطل امريكا اللاتينية ... ونغض على الشيخ حسن بنعناع ولو على قارعة طريق الاسكندرية الصحراوى الموصل الى محطات الامن الغذائى .

ويظهر ان مقولة « ان التاريخ يعيد نفسه » لها نصيب من الصحة ... اذا كان موكب الشيخ حسن موكب حمير يركبون حميرا . فان سنن

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

بريشة : فتح حسن

التشوه والارتقاء قد اتفقت ان يكون الحمير الجدد من ركاب السيارات والاوتوبيسات المكيفة والنفس الاذكياء الذين لايبصقون ولايخلعون ... وبعضهم يلهم في الكمبيوتر ...

ومرة اخرى اعود واؤكد انني عن الشركات الخاصة الحديث وليس عن الشركات الجادة وان الرثاء للذين خسروا اموالهم او يكادون وليس لمن نجوا بها .

في زمن الشيخ حسن كانت الخسائر محدودة ... ضرب ازواج زوجاتهم واحدثوا بهن عاهات مستديمة لانهم سلموا النبي الكذاب تحويشة العمر ... وبعض النساء طلبن الطلاق من رجال مشوا في مظاهرة الشيخ حسن وباعوا البقرة والجاموسة وقراريط الارض وتصرفوا في مهر البنت ... ولكن مدرسة الشيخ حسن استفحل خطرها في زمننا الوغد هذا الاحفاد هجروا القرى والمدن وتركوا مصر ... اغتربوا ليوفروا الدولارات ... وباعونا لتجار العملة ... وصل قطار الحكومة ، متاخرا ولكنه وصل ، وفرت عجلاته فوق تجار العملة ولكن ابناء عمومتهم جروا وراء القطار وتعلقوا بالسبنسة ، وكالعادة عرف مفتش القطار نوعية ركابه متاخرا .

اللص في المائة كل شهر ... القصة القديمة ... وحالما ان يكون ذلك ربا ... انه سلفة تمت الحساب ... انه عائد الانتاج ... انتاج ماذا ... انتاج صور للطعان لاندري ان كانت ترعى في هوانندة ام في صحرائنا التي لانتبت عشبا ... صور ماكينات لاندري ان كانت تدور هنا هذا ام انها منقولة عن كتالوجات ... لانزال نعيش عصر الاحجية ... الدجاق يخطف رجله ويستثمر لك اموالك في بلاد برّه ـ عيب ان تسال اين وكيف ... هذه اهانة للثقة ... بحق نظافتك ... وعليك ان تاكل وانت مغمض العينين .

واخيرا يصل قطار الحكومة يقوده هذه المرة اللص تلقي الاموال ... تاخرت سنين ياحضرة الحكومة ... تنسين دائما جدول المواعيد والاتضبطين قطاراتك ـ معلهش ... على كل حال القطار وصل وشكرا .

ولكن اسمحي لنا ياحكومة ان نضع بعض الحجارة على شريط القطار ... اننا اكثر منك حنانا ورفقا وحرصا على مصالح المودعين . لايليق ان تمنع من تلقي الاموال ... فان المودعين الجدد هم « البزازة » التي يرضع منها من سبقوهم ... هذه اهانة للشيخ حسن الذي اخترع جهاز « من نقنه اقتل له » .

نحن شركات شريفة بسيادة القانون ... ليس ذنبنا ان الذهاب اعجبتها لعبة توظيف الاموال ولبست جلد الاسد لتحاكينا . نحن ولامؤاخذة فوق القانون .

يمتلىء الهم مرارة والقلب كابة عندما نتذكر الذين سرقت عزلهم الذهاب ... الخسائر المادية تهون ... ولكن هناك خسائر لاتندمل جراحها ولاتؤاسي مقاطعها ... المواطنون الذين غابوا عن بيوتهم وتململوا احيانا مهانة الاغتراب ... وابتعدوا عن بيوتهم من اجل هذه الاموال التي يمتصها منهم المفلسون باعصاب باردة ... تركوا زوجات يعانين الشوق ويصبحن زوجات مع ايقاف التنفيذ ... الولد الذي يجد نفسه اعزل من سند الابوة ... ويهاجر من واقعه ، ويختبىء من عصره خلف الكتب الصفراء ... شاب بكره مجتمعه .. واخر بكره نفسه وينغمس في سلك شذاذ الافاق ... يسرق السيارات ... او ينتشر عربدة في حلب الليل ... والبنت المحرومة من دفء الاسرة وحراسة حنان الوالدين معا .. البنت التي تضمحل في نفسها هذه الرهبة الرحيمة التي كان يسبغها عليها الاب الغائب ... ويطيش صوابها وتستبد بانفاسها ... تخفي رؤوسنا ونتغافى اذا لم نعترف بان نصبة لايستهان بها من شبابنا يتعاطون السموم البيضاء ويتبادلون افلام الجنس لان البيت لم يعد بيتا .

رحم الله ايام العاهات المستديمة . الزوجات الان يعبئن الازواج في اكياس في ايام الشيخ حسن حدث ان الابناء قتلوا الامهات ... لكن لم يحدث ابدا ان تقتل الام ابنتها ... وان تخرج كبدها من احشائها وتمضغها ... لم يحدث ان الزوج هو الذي يغتصب تحت السرير اذا جاء العشيق ولم يحدث ان تستقبل الزوجة زوجها في المطار فتاخذه الى غرفة الاعدام .

ومعذرة عما اسلفت من هذيان الغضب ماهذا وشقق التمليك وتوظيف الاموال ربما وربما كان هناك شبه بين البعد الاجتماعي وبين السوائل في الاواني المستطرقة .

وعلى كل حال شكرا ياحضرة الحكومة انك تنازلت عن مبدأ ان القانون لايحمي المغفلين .. وانك تتوخين الان العزم وحمايته مختلف الاطراف ... واكرر ان القطار وصل متاخرا .. لكن معلهش ... المهم انه وصل .

وقد تواسين نفسك ياحضرة الحكومة وتقولين لابد لكل تجربة من ضحايا .. وما اكثر من انتفعوا وما اقل من خسروا ... حتى لو كانوا قد خسروا مستقبلهم او حياتهم .

لا ياجنابك الحكومة ... اننا في زمن الحاسبات الالكترونية والتنبؤات العلمية ... ونستطيع ان نعرف حجم الامطار قبل ان تتلبد السماء بالغيوم ... وعدد مرضى الايدز بعد كذا سنة .. ومتى سننقرض انواع من الاسماك في المحيطات ... ومتى ستسقط الشهب وتلك النيازك ... ولهذا يجب ان نعرف ياحكومة حجم المصائب التي تستخفين الآن بمسبباتها .. وان نكون لها بالمرصاد قبل ان تقع ... ولاتستخفي ياحضرة الحكومة بالطلقة التي يؤديها قطارك البطيء ... حياة ١٠ مواطن وشرفه ومستقبله مسئوليتك ... الدول الكبرى تلوم وتقعد من اجل حفنة من رعاياها المختطفين يعدون على الاصابع .

ونحمد لك ياحضرة الحكومة الحزم امام هذا النوع الجديد من الارهاب والتهديد بالويل والثبور ، وخلع القضبان التي يتحرك فوقها قطار القانون .

ويبقى تساؤل :

عندما تكون هناك قرية فيها كثرة من الاخيار وقلة من اللصوص ... وتجيء الدولة وتقيم في القرية نقطة لحماية الامن ... من الذي يخاف من النقطة ويطلب الحارس ... الاخيار ام اللصوص ؟!

وعندما يجيء رجال الصحة العامة لبناني اللبن ومعهم اجهزة التحليل بحثا عن اللبن المغشوش ... من الذي يغضب ... صاحب اللبن النقي ام صاحب اللبن الرديء ؟! ...

وهل يخشى اجهزة كشف الكذب من كان صادقا ! ...

ولماذا يخاف النقابيش من لاتوجد في جيوبه ممنوعات ... والغلم ؟!

ام ان الحماية ان البعض يحبون ان يقيموا دولة داخل الدولة ؟! ... وبعد ... فما احق ان يصل قطارك ، ياحضرة الحكومة ، في موعده ... والا يتلكأ في المحطات ...

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية